2003 03 44 -0003 - ٢

ينتظرن عودة الأبناء ولم ييأسن من المطالبة بكشف مصيرهم

عيد الأم يشيع الحسرة لدى أمهات المفقودين

صورة المخطوفين ريشار وكريستين سالم

ماذا يعني عيد الأم لامرأة تنتظر معرفة خبر عن ابنها المخطوف منذ عشرين سنة؟ عيد الأم يعني مشاركة وحضورا. يعني كلمة حب وهدية تفرح بهما الأم. لكن الأعياد تفقد معناها، كذلك الهدايا في غياب قسري للابناء.

تنتظر أوديت سالم عودة ولديها ريشار وكريستين اللذين خُطفا عام 1985 خلال الحرب اللبنانية في منطقة رأس بيروت. كل شيء بقي في بيتها كما هو، ولم يتغير منذ خطفهما على أيدي عناصر من الميليشيا ثم اختفائهما منذ ذلك الحين. تترك اشياء ابنتها كريستين في غرفة نومها وفي الحمام والخزائن. تزيل عنها الغبار ثم ترجعها الى امكنتها. تريدها أن تبقى كما تركتها الابنة وذلك قبل خروجها من البيت ذات صباح قبل 19 عاما. أدوات التجميل وعلبة البودرة وزجاجات العطر وفرشاة الاسنان وكريمات الوجه مصفوفة بعناية وحب على رف المغسلة وفي الخزانة الصغيرة فوقه. البوستر الممدد على جدار الغرفة، كذلك ثياب كريستين المعلقة في الخزانة والموضبة على الرفوف. غطاء السرير الملون والحيوانات المصنوعة من الفرو والصوف: اشياء كريستين الحميمة والخاصة، لا تمس الا لرفع الغبار او اعادة غسلها من جديد.

اغراض كريستين وريشار بقيت تنتظر في أمكنتها مثل انتظار أوديت التي ما عادت تترك البيت الا نادرا. "تعبت من الكلام" تبادرني أوديت سالم وهي تنفث دخان سيكارتها الذي يبدو وكأنه يطلع من قلبها. "عندما يسألني احد سؤالا يروح كل الحكي مني. اكتبي ما تريدين، فأنت تعرفين كل شيء. في هذا العيد يخطر على بالي ان يكون ريشار وكريستين معي مثلما كنا دائما مجتمعين ونشعر بالعيد. أتمنى ان يكونا معي في هذا النهار وان اعود أفرح من جديد. ماذا تريدينني ان أقول أكثر؟".

ماذا يعني عيد الأم لامرأة تنتظر معرفة اي شيء عن ابنها منذ 20 عاما. قد تفرح بكلمة كل عام وانت بخير. كذلك قد تبتهج لهدية. لكن الاعياد تفقد معناها كذلك الهدايا في غياب الاولاد. عبر وجودهم يشارك الابناء المرأة الام في امومتها وعيدها. عيد الأم يعني وجودا وحضورا وحبا. يعني كلمة تسمعها الام وتفرح بها من عائلتها واهلها. لكن كيف تفرح ام لم تسمع كلمة معايدة من اولادها الذين فقدت أثرهم، ولم تعد تعرف عنهم شيئا منذ سنوات؟ كيف تفرح ام سلخ عنها ابنها وهو في بدايات سنوات طيشه ومراهقته فحرمت نعمة وجوده قربها ونعمة ان تكون اما. كيف تفرح وهي لا تعلم احيا هو ام ميتا؟

وهل هناك عيد فعلا؟

"في هذا العيد لا يتذكرنا أحد من المسؤولين"، تقول خديجة وهبي (أم محمد) "لا يتذكرنا احد نحن الامهات المقهورات". خديجة فقدت ابنها احمد خلال الحرب اللبنانية، أُخذ من قربها بينما كانا في سيارة اجرة. اخرجه المسلحون من السيارة واجبروها على ترك المكان بالقوة مع تهديدها بالضرب. منذ ذلك الحين، لم تعد تعرف ام محمد عن ابنها شيئا. تحول العيد الى مناسبة للبكاء والتذكر. وهي لم تعد تعرف الاعياد منذ اختفاء الابن: "منذ 26 سنة لا أعرف معنى العيد، ابني أحمد حرمني كل الاعياد. لا أعرف الاعياد ولا أحب ان يعيدني أحد. رب العالمين وحده يخلصني. لا نريد شيئا لا عطورا ولا حليا ولا هدايا. نريد معرفة الحقيقة، انها اعظم هدية تصل لأم تعاني ما نعانيه. لا نريد من الدولة رعاية او سكر او اعاشة (رغم ان تلك المساعدات غير موجودة أصلا) بل ان تشفق علينا نحن الأمهات وتساعدنا لمعرفة مصير ابنائنا".

أوديت سالم

تقضي أم محمد العيد في مقبرة الشهداء. تذهب لزيارة زوجها المتوفي. تطلق لبكائها العنان. نهار اطلاق الأسرى من السجون الاسرائيلية وعودتهم الى اهلهم، زارت خديجة المقبرة ايضا. فرحت بعودة الاسرى كأنهم اولادها الا انها كانت تنتظر ان ترى ابنها معهم. لم تفقد الأمل يوما ولن تفقده لكنها تتعب و تشعر أحيانا انها تحمل عبئا ثقيلا: "مات زوجي وترك لي هذا الحمل الثقيل أحمله وحدي. هو ارتاح رغم انه مات فقعا بسبب خطف ابننا. ليتني أموت أنا أيضا. انه حمل ثقيل وما عدت أستطيع تحمل العذاب. لا أريد شيئا سوى مشاهدة ابني قبل ان أموت".

> **المؤتمرات والاعياد مناسبات للنسيان ليس غير**

لا مكان للفرح

تغدو الأعياد في وضع كهذا مناسبة للحزن وتذكر الغائب. لا يعود للفرح مكان فالفرح يصبح بمنزلة خيانة للغائب. ذلك الذي لا يعرف مصيره ولا مكانه ولا أحواله. هل هو حي ام ميت؟ هل هو في مكان قريب ام بعيد؟ يصبح ضائعا بين الحياة والموت ما دامت حقيقة اخباره او مصيره لم ترد بعد لدي أي فرد من افراد عائلته المنتظرين. الحقيقة، رغم مرارتها المحتملة، تصبح عيدا. من حق أولئك الامهات ان يفرحن بعودة أولادهن اذا كانوا ما زالوا احياء. من حقهن أيضا الحداد مثل كل أمهات العالم، ولبس الأسود ودفن موتاهن اذا كان المخطوفون قد فارقوا الحياة.

خديجة وهبي

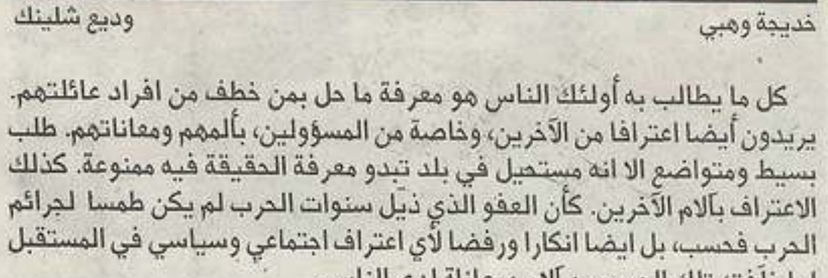

وديع شلينك

كل ما يطالب به أولئك الناس هو معرفة ما حل بمن خطف من افراد عائلتهم. يريدون أيضا اعترافا من الآخرين، وخاصة من المسؤولين، بألمهم ومعاناتهم. طلب بسيط ومتواضع الا انه مستحيل في بلد تبدو معرفة الحقيقة فيه ممنوعة. كذلك الاعتراف بآلام الآخرين. كأن العفو الذي ذيل سنوات الحرب لم يكن طمسا لجرائم الحرب فحسب، بل ايضا انكارا ورفضا لأي اعتراف اجتماعي وسياسي في المستقبل لما خلّفته تلك الحرب من آلام ومعاناة لدى الناس.

أوديت سالم وخديجة وهبي ومريم السعيدي التي اختطف ابنها قبل اثنتي وعشرين سنة وكان دون السادسة عشرة من عمره. الكثيرات من الامهات افتقدن طعم العيد منذ زمن: ام تيسير وام عزيز وليلى جدع وام عصام وام جهاد (سونيا عيد) وام علي جبر وغزالة عميرات وام حسيب وام كايد وام عماد... وآلاف غيرهن. كلهن ينتظرن أن يعود العيد يوما الى قلوبهن. لكن يبدو ان تلك الاعياد تليق بمجتمعات غير مجتمعاتنا واهل غير اهلنا. مجتمعاتنا وجمعياتنا الاهلية تعقد المؤتمرات للبحث عن وسائل لحماية المرأة في النزاعات المسلحة. لكن الكلام يُعطى لمن لم يتعرض لتجربة عنف او فقدان او اختطاف. المضحك المبكي في مؤتمرات مشابهة ان صاحبات العلاقة من دائما الغائبات عن مواضيع تناقش باسمهن. مواضيع هامة قد تغير سبل مناقشتها وتنفيذ مقرراتها حياة الآلاف من النساء. مؤتمرات تشبه تلك الاعياد. هي مناسبات للنسيان ليس غير.

ا.ح.ي.

أبرز أعلامه روميو وجولييت وجون ك

لماذا يبدأ الحب كبي

اعداد زويا مزاوي